مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســات الإنســـانيـة
Humanities and Educational Sciences Journal

ISSN: 2709-0302 (online)
ISSN: 2617-5908 (print)

بلاغة التراكيب القرآنية في كتاب البسيلي "نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد"(*)

د/ إبراهيم بَن عبد الله العتيق
أستاذ الأدب والنقد القديم المشارك، قسم اللغة العربية وآدابها
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة الملك سعود
alateeq@ksu.edu.sa

*) تاريخ تسليم البحث 5/1/2024 تاريخ قبوله للنشر 8/2/2024
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

بلاغة التراكيب القرآنية في كتاب البسيلي "نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد"

د/ إبراهيم بَن عبد الله العتيق
أستاذ الأدب والنقد القديم المشارك، قسم اللغة العربية وآدابها
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة الملك سعود

الملخص

يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على جهود أحد علماء المغرب الإسلامي، المفسر أحمد البَسِيْلي، في خدمة البلاغة القرآنية من خلال التنبيه على بلاغة التراكيب القرآنية، وإبراز بعض النكات البلاغية في النظم القرآني في كتابه: (نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد). وقد انتهج البسيلي في كتابه الإشارات السريعة والتنبيهات الموجزة، وظهرت عنايته بأسلوب الخبر والإنشاء، وأضرب الكلام، وخروجه عن مقتضى الظاهر، كما عُني بالتنبيه على أسلوب التقديم والتأخير، وبعض أسرارهما البلاغية، وكذلك نبَّه على الإيجاز وبعض مواضع الحذف، وعلى الإطناب وبعض مواضعه. وجاءت تنبيهاته على موضوعي الفصل والوصل أقل من تنبيهات ما سبق، وأقلّ منهما عنايته بأسلوب القصر والتعريف والتنكير.

الكلمات المفتاحية: البَسِيْلي، البلاغة القرآنية، التراكيب، النظم القرآني، الإعجاز.

the rhetoric of Qur'anic compositions in Al-Basaili's book (Rhetoric images and warnings in the interpretation of the Holy Qur'an)

Dr. Ibrahim bin Abdullah Al-Ateeq
Associate Professor of Ancient Literature
and Criticism, Department of Arabic Language and Literature
College of Humanities and Social Sciences - King Saud University

Abstract

This research seeks to shed light on the efforts of one of the scholars of the Islamic Maghreb, the interpreter Ahmed Al-Basaili, in serving Qur'anic rhetoric by highlighting the rhetoric of Qur'anic compositions, and highlighting some rhetorical images in Qur'anic systems in his book: (Rhetoric images and Cautions in the Interpretation of the Glorious Qur'an). In his book, Al-Basaili adopted quick references and brief warnings, and his attention to the style of predication and construction was evident, and the most complex of speech, and its deviation from apparent requirements. He also paid attention to the style of introduction and delay, and some of their rhetorical secrets. He also drew attention to brevity and some places of deletion, and to redundancy and some of its places. His attention to the topics of separation and connection was less than the cautions mentioned above, and his attention to the style of shortening, definiteness, and indefiniteness was less than them.

Keywords: Al-Basaili, Quranic Rhetoric, compositions, Quranic systems, miracles

المقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أما بعد:

تتفاوت العلاقة بين العلوم في التقارب والتباعد، وتعد العلاقة بين علمي التفسير العلاقة الوثيقة بين علمي التفسير والبلاغة علاقة وثيقة ومتداخلة، حتى عَدَّ بعض العلماء أن من شروط المفسر معرفته باللغة العربية، ومنها علوم البلاغة التي هي من أعظم أركان المفسِّر[1]. ولا يكاد يخلو كتاب تفسير من الإشارات البلاغية التي يستعين بها المفسر في توضيح معاني الآيات وبيان مرادها. وتتفاوت كتب التفسير في الاستعانة بعلوم البلاغة - المعاني والبيان والبديع- حسب عناية المؤلف بهذا العلم وتعمقه فيه، واحتياج المعنى له.

وقد لقيت كتب التفسير عناية من الباحثين المشتغلين بعلم البلاغة المختلفة لإبراز جهودهم وبيان مناهجهم، وكانت العناية بتفاسير المشارقة أكثر من تفاسير المغاربة، وفي مقدمتها تفسير الزمخشري والبيضاوي وأبي السعود. ومن هنا رأيت تسليط الضوء على جهود أحد علماء المغرب الإسلامي وهو الإمام أبو العباس أحمد بن محمد البَسِيْلي التونسي (ت ٨٣٠هـ)، في تفسيره المعروف بـ (نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد). الذي لم يكن هدفه فيه تفسير القرآن كله، وإنما كان يهدف إلى الوقوف الذي على دقائق التفسير، وينبّه على نكته، ويوجّه مشكلاته بإشارات سريعة وعبارات موجزة.

ولهذا الكتاب أهمية -كما يذكر محققه- في كونه جاء في فترة تاريخية حرجة، ومنعرج حضاري كبير، جمع فيه مؤلفه مادة غنيّة تمثل لونًا آخر من ألوان المنهج العقلي اللغوي في التفسير، وانفتح فيه على فنون كثيرة من علوم القرآن والحديث والفقه والنحو واللغة والأدب وغيرها؛ مما يصب في خدمة المعنى[2]، وكان للبلاغة نصيبها في خدمة المعنى، حيث وظفها البسيلي في كتابه بتفاوت، فحينا يكتفي بإشارة سريعة للوجه البلاغي، وحينًا يذكر المصطلحات، وقد يتوسع في بعض المسائل "فيخال مُجاريه لوْما علم أن الكتاب تفسير، أن مساق الكتاب برمته بلاغي صرف"[3]. ونلقى البسيلي ينقل عن عدد من المفسرين المهتمين باللغة والبلاغة ويناقشهم في بعض آرائهم؛ مما يدل على عمق معرفته بالبلاغة ودقائق أسرارها[4] كما ينقل عن مصادر بلاغية أساسية كالمثل السائر لضياء الدين بن الأثير[5] والمفتاح للسكاكي[6] وغيرها.

ويلحظ عند البسيلي العناية بالمفردة القرآنية والتراكيب، وحيث إنه سبق أن تناول محمد الصبحي، المفردة القرآنية بالدراسة في بحثه المنشور بعنوان: (بلاغة المفردة القرآنية عند الإمام البسيلي في كتابه: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد)، في مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد ٢٣، رجب ١٤٤٠هـ. فقد رأيت

(١) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٣هـ، (٢١٤/٤).

(٢) ينظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد. لأبي العباس أحمد البسيلي، تحقيق: محمد الطبراني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ط١، ١٤٢٩هـ، (١٣/١).

(٣) المصدر السابق، (١٥٩/١).

(٤) انظر: المصدر السابق (١٩٣/٢، ٢١٩، ٢٥٥، ٢٨٦، ٣٣٩، ٣٩٠) (٤٤٣/٣).

(٥) انظر: المصدر السابق (٣٩٢/٢).

(٦) انظر: المصدر السابق، (٥٣٥/٣).

تسليط الضوء على بلاغة التراكيب القرآنية في كتاب البسيلي (نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد)، فجاء هذا البحث الموجز حسب المخطط الآتي:

المقدمة، وتليها مباحث التراكيب التي كانت بارزة في كتاب البسيلي ووَقَف عندها ونبَّه عليها، وهي كالتالي:

١- الخبر والإنشاء.

٢- التقديم والتأخير.

٣- خروج الكلام عن مقتضى الظاهر.

٤- الإيجاز والإطناب.

٥- الوصل والفصل.

٦- القصر.

٧-التعريف والتنكير.

ثم الخاتمة، المصادر والمراجع.

١-الخبر والإنشاء:

الخبر عند البلاغين هو: "الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب لذاته"(٧). والإنشاء: "قول لا يحتمل الصدق والكذب لذاته"(٨).

ولئن كان هذا هو المفهوم الشائع عند البلاغيين إلا أن هناك من البلاغيين من تعقَّب هذا المفهوم، واعترض عليه؛ من أجل الموقف من الخبر في كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، فكلامهما هو الصدق، ولا يحتمل الكذب. هذا إلى جانب أن هذا المفهوم الشائع فيه جرأة على كلام الله؛ حين يفترض قطع العلاقة بين الله وكلامه(٩).

ولذا فإن المفهوم المناسب للخبر هو: "ما تركب من جملة أو أكثر وأفاد فائدة مباشرة أو ضمنية"(١٠)، والإنشاء: "ما سوى الخبر مما أفاد طلبًا أو قسيمه"(١١).

وقد قيّد البسيلي في كتابه عددًا من النكت والتنبيهات المتعلقة بالخبر والإنشاء؛ مما يعني عنايته بهذه المبحث البلاغي.

وأول ما يلاحظ في ذلك تنبيهه على بعض التراكيب، وتمييزه لها خبرًا كان أو إنشاء، مع الإشارة إلى أثر ذلك في الحكم الشرعي.

فعند قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ﴾ [الحُجُـرَات: ١٤]. ذكر أن (آمنا) خبر لا إنشاء، وأكد هذا بدليل تكذيبهم فيه، لأن التكذيب يعرض للخبر لا للإنشاء، ثم استخرج من هذا الرأي البلاغي حكم

---

(٧) علم المعاني: دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، بسيوني فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٣، ٢٠١١م، ص٤٢.

(٨) المرجع السابق، ص٤٢.

(٩) انظر: النظم القرآني في آيات الجهاد، ناصر الخنين، مكتبة التوبة، الرياض، ط١، ١٩٩٦م، ص٢٥٤-٢٥٥.

(١٠) انظر: المرجع السابق، ص٢٥٣.

(١١) المرجع السابق، ص٢٥٣.

الاستثناء في الإيمان، وأنه يصح إخبار المسلم عن نفسه بالإيمان دون الاستثناء كأن يقول: أنا مؤمن دون لزوم قول: إن شاء الله[١٢].

وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ [المُؤْمِنُون: ١٠٩]، نبّه على أن قوله: (ربنا آمنا) يدل على عدم وجوب الاستثناء في الإيمان؛ لأنه يرى أن هذا القول خبر لا إنشاء، ثم استدراك بقوله: "إلا أن يقال هذا إنشاء لا خبرًا"[١٣]، وإن كان إنشاءً فلا استثناء معه.

وللخبر في العربية أغراض من أهمها: فائدة المخَاطب نفس الحكم لمن لا يعلمه، ويسمى (فائدة الخبر)، و(لازم الفائدة) حين يكون المخبر عالمِا بالحكم، ويريد إشعار المخاطَب أنه عالم به[١٤]. وهناك أغراض أخرى كثيرة استنتجها البلاغيون من السياق، وقد نبّه البسيلي على عدد من هذه الأغراض في آيات متعددة، فالخبر في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ۝٨١﴾ [يُوسُف: ٨١]، ليس المراد به الفائدة ولا لازمها، فيعقوب- عليه السلام- يعلم أن أولاده ليسوا للغيب حافظين، ولذا نبّه البسيلي إلى أن الخبر هنا اعتذار، أي لو علمنا أن الأمر سيؤول لما وقع وحدث لما شهدنا عليه[١٥].

وينبّه على أن قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ۝٢٠﴾ [الرَّعْد: ٢٠]، والآيتين بعدها خبر غرضه الترغيب[١٦]، والآية التي تلت هذا الترغيب، وهي قوله تعالى: ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [الرَّعْد: ٢٥] غرضها الترهيب[١٧].

ويأتي الخبر ليفيد التهكم مثل ما نبّه عليه البسيلي عند قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٢٥﴾ [الرَّعْد: ٢٥]، حيث ذكر أن قوله (لهم) تهكم[١٨].

ويأتي الخير ويراد به الأمر كما نبّه عليه المؤلف عند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النِّسَاء: ٧٦]، ولم يقتصر على هذا التنبيه، وإنما علل ما ذهب إليه، وهو أنه لو لم يكن يدل على الأمر، للزم منه إخلاف الخبر، وعدم تحققه؛ لأن هناك من يقاتل لأهداف أخرى كالحصول على الغنيمة، أو يقاتل حمية لقومه وأرضه، أو يقاتل سمعة لإبراز شجاعته وإقدامه. كما أشار البسيلي إلى أنه لو لم يكن معنى الخير -هنا- الأمر لتحقق مذهب المعتزلة في أن من يقاتل لا لإعلاء كلمة الإسلام غير مؤمن[١٩].

---

(١٢) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٣/٥٥٦).

(١٣) المصدر السابق (٢/٩٢٣).

(١٤) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، الشركة العالمية للكتاب، ط٢، ١٩٨٩م، ص٩١.

(١٥) نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٢/٢٦٤).

(١٦) المصدر السابق (٢/٢٨٠).

(١٧) المصدر السابق (٢/٢٨٠).

(١٨) المصدر السابق (٢/٢٨١).

(١٩) انظر: المصدر السابق (٢/١٧٥).

ومن الآيات التي وقف عندها البسيلي ونبّه على النكتة البلاغية فيها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ [النِّسَاء: ٢٩]، حيث بين أن هذا الخبر في معنى النهي، وليس خبرًا حقيقيًا، بينما ذهب المعتزلة إلى أنه خبر حقيقي، وعليه فإن قاتل العمد كافر على مذهبهم[٢٠] وما نسبه البسيلي إلى تكفير المعتزلة لقاتل العمد ليس دقيقًا، فهم لا يكفرون مرتكب الكبيرة، وإنما يرون أنه في الدنيا في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر، لافي الاسم ولافي الحكم، أما في الآخرة فإنه يخلد في النار[٢١] وفي تفسيره للاستعاذة ذكر أن (أعوذ) خبر بمعنى الدعاء، أي: اللهم أعذني[٢٢].

ويذكر البلاغيون أن من بلاغة المتكلم أن يقتصر من التراكيب على قدر الحاجة، فلا يكون كلامه زائدًا عليها، ولا مخلًا بالفصاحة والبيان، وأنه قد يحتاج إلى مؤكدات حسب حالة المخاطب، وهو ما يعرف بأضرب الخبر الثلاثة، التي هي على النحو الآتي:

١- الخبر الابتدائي الذي يخلو من المؤكدات، وذلك حين يكون المخاطب خالي الذهن من الحكم.

٢- الخبر الطلبي الذي يكون فيه المخاطب مترددًا أو شاكًا في الخبر، وهنا يحسن تقوية الكلام بمؤكد.

٣- الخبر الإنكاري الذي يكون فيه المخاطب منكرًا للخبر وحاكمًا بخلافه، وهنا يجب توكيده بحسب الإنكار[٢٣] حيث تتضاعف عناصر التوكيد بمقدار تصاعد حالة الإنكار؛ حتى تكون قوة العبارة ووثاقتها ملائمة لحال النفس قادرة على الإقناع[٢٤].

ولم يغفل البسيلي عن التنبيه على بعض أضرب الخبر المتنوعة، فها هو يعلل سبب التوكيد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ [النِّسَاء: ٥٦]، وعدم التوكيد في الآية التي بعدها: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [النِّسَاء: ٥٧]، إلى أن المؤمنين لا ينكرون هذا الخبر، بينما الكفار ينكرونه[٢٥]. ومن هنا جاء التأكيد في الأولى دون الثانية.

وينبّه على نكتة تأكيد نسبة اليهود الفقر إلى الله –تعالى الله عما يقولون– دون نسبة الغنى إليهم: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عِمۡرَان: ١٨١] وكأن هذا الأمر عندهم جلي لا ينكر، فلا يحتاج إلى تأكيد[٢٦].

ولأن نسبة ما نسبوه إلى الله أمر منكر لا يقبله أحد، أكدوه بحرف التأكيد (إنّ). وقد بيّن أبو حيان الأندلسي السر البلاغي في التأكيد وعدمه؛ إذ ذكر أن اليهود استخدموا التأكيد فيما نسبوه إلى الله على سبيل المبالغة، أما ما نسبوه إلى أنفسهم من الغنى فقد أخرجوه مخرج ما لا يحتاج إلى تأكيد، وكأن الغنى وصف لهم لا يمكن فيه نزاع، فيحتاج إلى أن يؤكد[٢٧].

---

(٢٠) انظر: المصدر السابق (٢/١٨٠).

(٢١) انظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، عواد المعتق، مكتبة الرشد، الرياض ط ٥، ٢٠١٧م، ص٢٥٧.

(٢٢) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٢/٣٩).

(٢٣) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص٩٢-٩٣.

(٢٤) انظر: خصائص التراكيب؛ دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١٩٨٠، ٢م، ص٤٨.

(٢٥) نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٢/١٧٠).

(٢٦) المصدر السابق (٢/١٣٥).

(٢٧) انظر: البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م، (٣/١٣٦).

وقد لاحظ البلاغيون أن تأكيد الخبر لا يقتصر على جهة المخاطب، وموقفه منه بين التردد أو الإنكار، وإنما قد يأتي التأكيد من جهة حال على المتكلم نفسه، ومدى انفعاله بهذه الحقائق(٢٨). وهذا ما تنبّه له البسيلي في قوله تعالى على لسان أبينا إبراهيم -عليه السلام-: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ [إِبۡرَاهِيم: ٣٧]، حيث نبّه على أن التأكيد بـ (إن) باعتبار نفسه إلى أنها راضية لهذه السكنى مع أن الأصل كراهة النفوس لذلك. وأما المخاطب -سبحانه وتعالى- فهو عالم بذلك(٢٩).

ومثل هذا ورد في قوله تعالى على لسان موسى -عليه السلام-: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسًا﴾ [القَصَص: ٣٣]، حيث جاءت الجملة مؤكدة بـ (إن) ليس لاعتبار أن المخاطب منكر أو متوهم إنكاره، إذ المخاطب هو الله العالم بكل شيء، ومنه قتل موسى للرجل. وإنما الاعتبار والنكتة البلاغية -هنا- كما نبّه عليها البسيلي هو تأكيد إخباره عن خوفه الحاصل في نفسه على معنى المبالغة(٣٠).

ولم يغفل البسيلي في بعض النكت عن الإشارة إلى بعض أدوات توكيد الخبر، ومنها التوكيد بـ (سوف) و(السين) إذ هذان الحرفان يقتضيان التوكيد عند دخولهما على ما يفيد الوعد والوعيد(٣١).

وقد فرق بينها حين جعل التأكيد بسوف في قوله تعالى عن الكافرين: ﴿سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارًا﴾ [النِّسَاء: ٥٦]، أبلغ من السين في قوله تعالى عن المؤمنين: ﴿سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٍ﴾ [النِّسَاء: ٥٧]، وذلك لأن حال الكافر في حالة إنكار للخبر، بخلاف المؤمنين غير المنكرين(٣٢).

ومن أدوات التوكيد لام الابتداء(٣٣)، وقد نبّه عليها المؤلف البسيلي عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأَنۡعَام: ١٦٥]، وقوله في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأَعۡرَاف: ١٦٧]، إذ لاحظ أن آية الأعراف جاءت مؤكدة باللام، دون آية الأنعام، واستعان في تفسير السر البلاغي ذلك بما نقله ابن العربي في قانون التأويل(٣٤) بأن آية الأنعام دخل في خطابها أمة الإسلام، وهي أمة مرحومة في الدنيا، وإنما تعاقب في الآخرة فلم تؤكد العقوبة بلام التوكيد، أما آية الأعراف فهي في بني إسرائيل فناسب التأكيد فيها(٣٥).

وقد وقف ابن الزبير الغرناطي عند هاتين الآيتين ووجه التشابه فيهما، واختصاص آية الأعراف بزيادة اللام المؤكدة دون آية الأنعام بناءً على سياق الآيات، حيث إن آية الأنعام كانت في سياق خطاب النبي محمد -صلى

---

(٢٨) انظر: خصائص التراكيب، ص٤٨، ٥٧.

(٢٩) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٢/٣٠١).

(٣٠) انظر: المصدر السابق (٢/٣٧١).

(٣١) انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م (١/١٥٩). وعبد الرحمن الميداني، البلاغة العربية؛ أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٩٩٦م، (١/١٩٢).

(٣٢) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٢/١٧١).

(٣٣) انظر: من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر للطباعة والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص١١٤.

(٣٤) انظر: قانون التأويل، أبو بكر محمد بن العربي، تحقيق: محمد السليماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة ط١، ١٩٨٦م، ص٥٢٥.

(٣٥) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٢/٢٠٢).

الله عليه وسلم- وخطاب أمته فخلا الخبر من التوكيد لموافقة حالهم، فهم ليسوا بجملتهم ممن استحق عقابًا، ومن عوقب من أهل القبلة فعقابه منقطع، فلا حامل على التأكيد، وأما آية الأعراف فسياقها في بني إسرائيل، وذكر ما ارتكبوه من السيئات، فخلصت الآية للمستحقين العقاب، فناسب تأكيد الخبر المنبئ بعقابهم وسوء مآلهم(٣٦).

وقد ينبّه البسيلي إلى تأكيد الخبر وتركه أحيانًا دون تعليل أو بيان السر البلاغي في ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، حيث اقتصر على قوله: "أكد وعد الله بإن دون وعد الشيطان"(٣٧). ولعل السر في ذلك يرجع إلى مقتضى الحال؛ إذ يؤكد الخبر -أحيانًا- وقد يترك مراعاة لاعتبارات بلاغية متعلقة بحال المخاطب والمقام الذي ورد فيه الخبر(٣٨). والمقام في هذه الآية أن الشيطان يخطب بين أتباعه بعد أن تبين الحق، وقضي الأمر، ودخل أهل الجنةِ الجنةَ، وأهل النار النار، وأتى بالخبر مؤكدًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ﴾ وهم لا ينكرون هذا في مقامهم الحاضر، ولكن جاء التأكيد على اعتبار ماضيهم في الدنيا، وما هم عليه من الإنكار والجحود والتكذيب بالآخرة. وجاء الخبر الآخر مجردًا من التأكيد ﴿وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡ﴾؛ لأن مقامهم وحالهم الحاضرة في النار لا يحتاج معها إلى تأكيد أن وعدهم باطل لن يتحقق.

أما ما يتعلق بالإنشاء فإن البسيلي وقف عند بعض الأساليب الإنشائية، ونبّه على النكت البلاغية فيها دون إطالة بما يناسب غرضه من كتابه. وقد حظي الأمر والاستفهام بعنايته حين نبّه عليهما في مواضع متعددة. فالأمر في قوله تعالى: ﴿فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦]، يدل على الوجوب استنادًا على سياق الآية إذ ختمت بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ٨٦﴾ [النساء: ٨٦]، ويشير المؤلف إلى بعض الأغراض البلاغية التي خرج إليها الأمر، ومنها الامتنان كما في قوله تعالى: ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٤٢](٣٩)، إذ نبّه البسيلي على أن الأمر هنا للامتنان. وعند قوله تعالى: ﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ١٤]، ينبّه على أن الأمر -هنا- للتحقيق(٤٠).

وقد يخرج الأمر الى الإرشاد كما نبّه عليه البسيلي عند قوله تعالى: ﴿ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ﴾ [يوسف:٨١]، إذ ذكر أن الأمر (ارجعوا) للوجوب، و(فقولوا) للإرشاد(٤١).

ولئن كان الغالب في وقفات البسيلي الإشارة السريعة إلا أنه -أحيانًا- يناقش آراء الآخرين بإيجاز، ويتعقبهم سريعًا كما صنع عند قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٥]، إذ نبّه أن الأمر للوجوب، وتعقب الفخر

(٣٦) انظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٤٠هـ، ص٢٧٨-٢٧٩.

(٣٧) نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٢/٢٩٢).

(٣٨) انظر: البلاغة؛ فنونها وأفنانها- علم المعاني، فضل عباس، دار الفرقان، عمان، ط٣، ١٩٩٢، ص١٢٩-١٣٠.

(٣٩) نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٢/١٧٩).

(٤٠) المصدر السابق (٢/٢٢٨).

(٤١) المصدر السابق (٢/٢٦٤).

الرازي الذي ذهب إلى أن الأمر للإرشاد مستدلًا لرأيه بأن الإرشاد خاص بالأمور الدنيوية، وهنا الأمر ليس في شأن دنيوي، وإنما في مسألة دينية شرعية(٤٢).

وإذا كان الاستفهام يعني: "طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل بأدوات خاصة"(٤٣) إلا أنه يخرج عن معناها الحقيقي إلى معانٍ تفهم من السياق، وقد نبّه البسيلي على كثير من هذه المعاني كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [هُود: ٩٢]، فقد بين أن الهمزة للاستفهام بمعنى الإنكار(٤٤)، فشعيب -عليه السلام- ينكر على قومه موقفهم ويبين من سؤاله أن الله أعز من رهطه.

ويأتي الاستفهام للإنكار كما أشار إليها البسيلي عند قوله تعالى: ﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ﴾ [إِبۡرَاهِيم:١٠]، حيث أفاد المؤلف من آراء المفسرين الذين ذكروا أن الهمزة للإنكار، وهو إنكار للشك في وحدانية الله وألوهيته(٤٥). ويضيف بعض البلاغيين إلى الإنكار معنى الإفحام والإلزام بإقامة الحجة على الكفار(٤٦).

وينبّه البسيلي على أن الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا﴾ [إِبۡرَاهِيم: ٢٤]، أنه استفهام بمعنى التقرير(٤٧) وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا﴾ [إِبۡرَاهِيم: ٢٨]، أن همزة الاستفهام للتحقيق(٤٨) وهو أحد معاني التقرير، والمعنى الآخر له حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه، وإلجاؤه إليه(٤٩).

ويخرج الاستفهام إلى النفي كما وضحه البسيلي عند قوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٤٢ وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يُبۡصِرُونَ ۝٤٣﴾ [يُونُس: ٤٢ - ٤٣]، حيث ذكر أن الاستفهام هنا بمعنى النفي(٥٠) وهو ما ذهب إليه بعض المفسرين كالقرطبي(٥١) والسعدي(٥٢). في مقابل من رأى أنه استفهام إنكاري بناءً على تنزيل المخاطب وهو الرسول -صلى الله عليه

---

(٤٢) انظر: المصدر السابق (٣٩٠/٢)، وتفسير الفخر الرازي، الخطيب محمد الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨١ م، (١٩٤/٢٥).

(٤٣) علم المعاني، ص٣٨٠.

(٤٤) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٢٤٠/٢).

(٤٥) انظر: المصدر السابق (٢٨٨/٢).

(٤٦) انظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ٢٠١١م، (١٧٠/٢).

(٤٧) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٢٩٤/٢).

(٤٨) انظر: المصدر السابق (٢٩٥/٢).

(٤٩) انظر: المطوّل شرح تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، سعد الدين مسعود التفتازاني، تحقيق: عبد العزيز السالم، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ٢٠١٩م، (٢٣٨/٢).

(٥٠) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٢٢١/٢).

(٥١) انظر: الجامع لأحكام القرآن المبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، محمد القرطبي، تحقيق: عبد الله التركي وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ، (٥٠٦/١٠).

(٥٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، عبد الرحمن السعدي، اعتنى به: عبد الرحمن اللويحق، مكتبة الرشد، الرياض، ط ٢، ٢٠٠٣م، ص٣٦٥.

وسلم منزلة من رأى نفسه قادرًا على إقناعهم وهدايتهم(٥٣). بينما ذهب الطاهر بن عاشور إلى أن الاستفهام في التعجيب من حالهم؛ إذ يستمعون إلى دعوه النبي –عليه السلام– ولا يعقلونها، وينظرون إلى حاله وسيرتهم ولا يهتدون بها(٥٤).

ومن المعاني التي خرج إليها الاستفهام، ونبّه عليها البسيلي، استفهام الاستنكار والتوبيخ والإبطال(٥٥) كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ﴾ [الرَّعْد: ١٦]، فهذه الاستفهامات المتوالية جاءت في مقام الإنكار على المشركين، وتوبيخهم على دعوتهم الأصنام التي لا تستجيب لدعائهم، ولا تمتلك نفعًا ولا ضرًا. وتبطل عقيدتهم في استحقاق تلك الأصنام للدعاء والعبادة.

وقد يورد البسيلي أكثر من معنى للاستفهام، كما نبّه عند قوله تعالى: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [يُوسُف: ٣٩]، إذ نقل عن الرازي أن الاستفهام للإنكار؛ لأنهم كانوا عبدة أوثان، وذكر احتمالًا آخر، وهو أن الاستفهام للاستنطاق(٥٦).

وتعدد معاني الاستفهام أمر مقبول، فالاستفهام قد لا يحمل معنى واحدًا، وإنما يأتي لأكثر من معنى، وهذا من الثراء اللغوي في اللغة العربية، وحسب فهم المفسرين للمعنى المراد في الآية، كحال هذه الآية. فإذا كان البسيلي ذكر معنيين للاستفهام فيها، فإن الإمام الألوسي ذكر غيرهما وهو أن الاستفهام لنفي الاستواء والمساواة(٥٧)، وقد أنكر بعض الباحثين هذا المعنى الذي ذكره الألوسي من خلال نظرته إلى الطرفين معًا في الاستفهام، وهذا غير مقبول؛ لأنه لا اشتراك بين عبادة الأصنام وعبادة الله في الخيرية؛ فالأولى شر خالص والثانية خير خالص(٥٨).

٢– التقديم والتأخير

من الأساليب البلاغية المهمة، وقد وصفه عند القاهر الجرجاني بأنه: "باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، لا يزال بعيد الغاية، لا يزال يفترُّ لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة"(٥٩) وهو دليل على التمكن في الفصاحة، والملكة في الكلام، وله في القلوب أحسن موقع(٦٠).

وهذا الأسلوب لا يكون بديعًا إلا إذا كان صادرًا عن غرض بلاغي، خاليًا من اللبس والتعقيد اللفظي والمعنوي، حينها يكسب الكلام جمالًا وتأثيرًا، ويكون صورة صادقة لإحساس المتكلم ومشاعره، إذ جاءت المعاني فيه مرتبة حسب أهميتها في الذهن(٦١).

---

(٥٣) انظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم (٥٨/٢)

(٥٤) انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، (٧٨/١١).

(٥٥) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٢٧٧/٢).

(٥٦) انظر: المصدر السابق (٢٥٨/٢)، وتفسير الفخر الرازي، (١٤٣/١٨).

(٥٧) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (٢٤٤/١٢).

(٥٨) انظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، (١٢٨/٢).

(٥٩) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني. قرأه وعلق عليه: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة/دار المدني، جدة، ط ٣، ١٤١٣هـ، ١٠٦.

(٦٠) انظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط١، ١٩٥٧م، (٢٣٣/٣).

(٦١) انظر: المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم، عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص١٥٨.

وقد بلغ القرآن الكريم الذروة في هذا الأسلوب الفني؛ إذ يراعي وضع الكلمات الوضع الذي تستحقه في التعبير بحيث تستقر في مكانها المناسب لها(٦٢)، والناظر في كتب التفسير وعلوم القرآن وبعض الدراسات البلاغية المعنية بالبلاغة القرآنية يجد محاولة مؤلفيها الإشارة إلى مواقع التقديم والتأخير في النظم القرآني، وبيان أسراره وأسبابه حتى أحصى بعضهم اثنين وثلاثين سببًا للتقديم والتأخير القرآن الكريم(٦٣).

ولأبي العباس البسيلي عناية بهذه الأسلوب البلاغي، إذ نجده ينبّه على بعض مواضع هذا الأسلوب في كتابه، ويبيّن -غالبًا- أسراره ودلالاته في القرآن الكريم. ومن ذلك إشارته إلى الترتيب في تقديم الآباء على الأزواج، والأزواج على الذرية في قوله تعالى: ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآبِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ [الرَّعْد: ٢٣]. "جاء على الأصل، لأن الآباء قبل الأزواج، والأزواج قبل الذرية"(٦٤). ومثله ما جاء على لسان يوسف -عليه السلام- حين قدَّمَ إبراهيم على إسحاق، وإسحاق على يعقوب في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يُوسُف: ٣٨]. حيث بيّن البسيلي أن الآية بدأت بإبراهيم؛ لأنه أبو الكل وأصلهم، وما بعده على الترتيب(٦٥).

وإذا كان رفع المؤلم آكد من جلب الملائم كما يذكر البسيلي، إلا أن النظم القرآني خالف هذا في تقديم الإنجاء على الإغراق في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ [البَقَرَة: ٥٠]، وما ذاك إلا مراعاة للترتيب الوجودي(٦٦).

ومما جاء على القاعدة في تقديم المؤلم تقديم المغفرة على الرحمة ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [آل عِمْرَان: ١٥٧]، حيث نبّه البسيلي على أن هذا التقديم راجع لدفع المؤلم، وهو آكد(٦٧) فالمغفرة للذنوب المؤلمة، والرحمة أعم في محو السيئات وزيادة الحسنات. والمغفرة سلامة للإنسان والرحمة غنيمة له، والسلامة تطلب من الغنيمة(٦٨).

ويأتي تقديم لفظ على آخر؛ لأنه الأصل كتقديم لفظ (الزاني) على الزانية في قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ [النُّور: ٣]، حيث قال السبيلي في بيان التقديم: "قُدِّمَ الذَّكَر هنا لأنه الأصل في النكاح"(٦٩) فالذكر هو المبتدئ بالخطبة وطلب النكاح، ومن ذلك تقديم الليل على النهار، في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ [إِبْرَاهِيم: ٣٣]، حيث قال: "تقديمه يدل على أنه الأصل في التاريخ"(٧٠)، فالليل أسبق وجوداً من النهار، حيث كانت الظلمة هي الأصل منذ القدم قبل خلق الأجرام السماوية.

---

(٦٢) انظر: التعبير القرآني، فاضل السامرائي، دار عمّار، عمّان، ط٤، ٢٠٠٦م، ص٥٣.

(٦٣) انظر: دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم- دراسة تحليلية، منير المسيري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م، ص١٣٣-١٤٨.

(٦٤) نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٢/٢٧٩).

(٦٥) انظر: المصدر السابق المجيد (٢/٢٥٧).

(٦٦) انظر: المصدر السابق (٢/٦٦).

(٦٧) انظر: المصدر السابق (٢/١٢٨).

(٦٨) انظر: بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي العمران، دار عطاءات العلم، الرياض، ط٥، ١٤٤٠هـ، ١/١١٢).

(٦٩) نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٢/٣٣١).

(٧٠) المصدر السابق (٢/٢٩٧).

وينبّه البسيلي على سر تقديم النبي –صلى الله عليه وسلم– نفسه الشريفة على غيره في قوله تعالى: ﴿مَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [الأَحْقَاف: ٩]، إلى أنه من بات التشريف(٧١). وقد يجتمع مع غرض التشريف غرض آخر كما في تقديم الجار والمجرور على الفاعل في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾ [هُود:٧٤]، إذ أشار البسيلي الى أن التقديم كان لشرف إبراهيم –عليه السلام– ولأنه المقصود(٧٢)، وهكذا يتقدم المتعلق إليه في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ۝٣٦﴾ [الرَّعْد: ٣٦] لسببين: للاختصاص والتشريف(٧٣).

ومن أسرار التقديم في القرآن وجمالياته، التي أشار إليها البسيلي، التقديم من أجل الأهمية نحو قوله تعالى: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبُۢ بِٱلْعَدْلِ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٢]، حيث تقدم قوله ﴿بَّيْنَكُمْ﴾ على الفاعل ﴿كَاتِبُۢ﴾ وذلك لأنه المقصود، فهو أهم(٧٤). وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ [العَنكَبُوت: ٥٢]، حيث تقدم الظرف على قوله (شَهِيدًا)؛ لأنه "الأهم لتقدم ذكر المجادلة المقتضية للبيّنة"(٧٥) في الآيات السابقة على هذه الآية في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العَنكَبُوت: ٤٦].

ويذهب البسيلي إلى أن تقديم إقلاع السماء في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي﴾ [هُود: ٤٤] هو الأصل، لكن النظم القرآني قدم إبلاع الأرض، وعلل المؤلف هذا التقديم، ونبّه على سره، وهو أنه الأهم(٧٦)، وهذا التعليل يختلف عن تعليل السكاكي الذي ذهب إلى أن تقديم أمر الأرض على أمر السماء؛ لابتداء الطوفان منها(٧٧). وهذا التعليل وإن كان لا يتعارض مع تعليل البسيلي، إلا أن تعليل الأخير وتنبيهه على الأهمية أبدع، إذ الحاجة في ذلك المقام إلى ابتلاع الماء مقدمة حتى يستطيع أهل السفينة من النزول في الأرض والعيش عليها بسلام.

ويقف البسيلي عند سرّ قديم الكفار في مخاطبتهم لرسلهم الإخراج من الأرض على العودة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [إِبْرَاهِيم: ١٣]. أنه هو مقصودهم(٧٨)، فقد كان إخراج الرسل من ديارهم من وسائل مقاومة الكفار للرسل ولرسالة التوحيد، كما حصل مع نبينا محمد–صلى الله عليه وسلم– وكما جاء في قصة إبراهيم ولوط عليهما السلام: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ۝٧١﴾ [الأَنبِيَاء: ٧١]، وجاء على لسان قوم لوط: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝٨٢﴾ [الأَعْرَاف: ٨٢]، ويهدد أهل مدين رسولهم

---

(٧١) انظر: المصدر السابق (٢/٥٤١).

(٧٢) انظر: المصدر السابق (٢/٢٣٩).

(٧٣) انظر: المصدر السابق (٢/٢٨٥).

(٧٤) انظر: المصدر السابق (٢/٨٦).

(٧٥) المصدر السابق (٢/٣٨٠).

(٧٦) انظر: المصدر السابق (٢/٢٣٢).

(٧٧)انظر: مفتاح العلوم، يوسف السكاكي، ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م، ص٤٢٠.

(٧٨) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٢/٢٩٠).

شعيب- عليه السلام: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [الأَعۡرَاف: ٨٨].

ويشير البسيلي إلى سر تقديم لفظة (مقطوعة) على (ممنوعة) في قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ٣٣﴾ [الوَاقِعَة: ٣٢-٣٣]، إلى أن مقطوعة أعم من ممنوعة، فقد تكوين الفاكهة موجودة لكن يمنعون منها، والمقطوعة غير موجودة(٧٩).

ومن الأسرار البلاغية التي أشار إليها المؤلف في هذا المبحث التقديم للأهمية ورفع التوهم، كما في تقديم (الدّيّة) على تحرير الرقبة في قتل المعاهد الذي من قوم كافرين، بينما تأخرت في قتل المؤمن كما جاءت في قوله تعالى ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ... وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾ [النِّسَاء: ٩٢]، حيث أشار إلى أن سر التقديم يرجع إلى أن القتل وقع على "كافر من قوم كفار، فقد يتوهم فيه سقوط الدية، فقدمت اهتماما بها"(٨٠). وقد عد الزركشي الاهتمام عند المخاطب أحد مقتضيات التقديم، ومثّل له بهذه الآية الكريمة(٨١).

وينبّه البسيلي على سر تقديم بيوت الآباء على بيوت الأمهات في قوله تعالى: ﴿أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ﴾ [النُّور: ٦١]، لتكرار دخول الأبناء فيها، ولأن النفقة على الآباء لا الأمهات(٨٢)، ويشير إلى أن التقديم في قوله تعالى على لسان يوسف- عليه السلام: ﴿أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣﴾ [يُوسُف: ٣٣]، من باب تقديم المسَبَّب على السَّبب؛ لأنه هو المقصود الأهم(٨٣)، فالميل إليهن ومتابعتهن على ما يردن منه ويهوَيْن بسبب الجهل ونتجته.

وينبّه البسيلي إلى نكتة نظم القرآني وترتيب بصائر وهدى ورحمة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٤٣﴾ [القَصَص:٤٣]، إلى أن الترتيب جاء على السبب مما تبصَّر بالكتاب اهتدى به، ومن اهتدى به رحم به(٨٤).

ومن نكت التقديم التي نبّه عليها البسيلي تقديم الزانية على الزاني في قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖ﴾ [النُّور: ٢]، وعكس ذلك في السارق والسارقة في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا﴾ [المَائـِدَة: ٣٨]، حيث تقدم ذكر المذكر على المؤنث؛ وذلك اعتبارًا بالغالب، فالزنا في الإناث أغلب، والسرقة أغلب في الذكور(٨٥) وهذه النكتة مقبولة؛ إذ الرجل مطالب

---

(٧٩) انظر: المصدر السابق (٣/٥٨٠).
(٨٠) المصدر السابق (٢/١٨٤).
(٨١) انظر: البرهان في علوم القرآن (٣/٢٦٦).
(٨٢) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٢/٣٣٤).
(٨٣) انظر: المصدر السابق (٢/٢٥٤).
(٨٤) انظر: المصدر السابق (٢/٣٧٤).
(٨٥) انظر: المصدر السابق (٢/٣٣٠).

بالنفقة، وهو أكثر جرأة وإقدامًا من المرأة فناسب تقديم الرجل السارق، بينما فاحشة الزنا تكون –غالبًا– ابتداء من تصرفات المرأة وإثارتها للرجل عن طريق خضوعها بالكلام أو لباسها وتبرجها، مما يطمع الرجل في الفاحشة، ويجرئه على ارتكابها فناسب تقديم الزانية على الزاني، وقد يكون من بلاغة تقديم الزانية شناعة هذه الجريمة في حق المرأة وأسرتها، فجاء التقديم للتغليظ وشدة التنبيه والتحذير، والله أعلم. وتعليل البسيلي هنا في تقديم الزانية يبرز تذوقه وحسه البلاغي؛ إذ علل السبب هنا بالأغلبية والكثرة وجعله سبب التقديم.

وللسياق أثره في النظم القرآني، وهو أحد أسرار التقديم والتأخير فيه(٨٦)، ونبّه عليه البسيلي في الجواب عن سر تقديم اسم الإشارة على الضمير المنفصل وما عطف عليه في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ [النَّمل: ٦٨]. بينما جاء متأخرًا في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝٨٢ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ﴾ [المُؤْمِنُون: ٨٢-٨٣]. حيث إنه لما كان سياق الآيات في سورة (المؤمنون) عن حال الأمم السابقة المكذبة، واتباع عقائد الآباء ناسب تقديم ضميرهم على اسم الإشارة، بينما في سورة النمل كان السياق والمتقدم هو البعث المشكوك فيه عندهم، فناسب تقديمه على ضميرهم(٨٧).

ويشير البسيلي إلى نكتة النظم القرآني وحسن ترتيبه، وذلك عند قوله تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ﴾ [آل عِمْرَان: ١٤٦]، حيث بيَّن أن الوهن أشد مما عطف عليه، فهو أشد من الضعف والاستكانة؛ لأنه أخصهما؛ ولذا جاء الترتيب قائمًا على التأسيس الذي يفيد معنى جديدًا(٨٨). وممن نبّه على حسن الترتيب في هذه الآية ابن عاشور حين ذكر أن ترتيب المعاني (الوهن) (الضعف) (الاستكانة) جاء في القرآن على حسب ترتيبها في الحصول، فإنه إذا خارت العزيمة فشلت الأعضاء، وجاء الاستسلام فتبعه المذلة والخضوع للعدو(٨٩). ولعله يندرج تحت هذا تقديم النفع على الضر في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الرَّعْد: ١٦]، حيث ذكر البسيلي أن تقديم نفي النفع على نفي الضر أبلغ من عكسه(٩٠). ولم يزد على ذلك بتعليل رأيه، ولعل كونه راجع إلى سياق الآية ونظمها، فقد تقدم ما يناسب لفظة (النفع) في الآية التي قبلها وهو لفظ (الطوع) حيث جاءت الآية: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرَّعْد: ١٥]. يقول الكرماني: "وحيث تقدم النفع على الضر تقدم لسابقة لفظ تضمن نفعًا... وفي (الرعد طوعًا وكرهًا) فقدم الطوع"(٩١). كما أن مجيء

---

(٨٦) انظر: أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم، محمود السيد شيخون، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٣م، ص٨٥.

(٨٧) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٣٦٢/٢).

(٨٨) انظر: المصدر السابق (١٢٢/٢).

(٨٩) انظر: التحرير والتنوير (١١٩/٤).

(٩٠) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٢٧٦/٢).

(٩١) البرهان في متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبرهان، محمود الكرماني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٤٠هـ، ص١٤٦-١٤٧، وانظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني، بدر الدين بن جماعة، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٤٠هـ، ص١٣٥. والتعبير القرآني، ص٥٩-٦٠.

لفظة (أولياء) وتقدمها في الآية ناسب معها تقدم النفع؛ إذا الغالب أن الناس يطلبون النفع من أوليائهم أكثر من دفع الضر، ويذكر ابن عاشور أن عطف الضر على النفع استقصاء في عجز أولئك الأولياء؛ لأن شأن الضر أنه أقرب للاستطاعة وأسهل(٩٢).

ويعلل البسيلي تقديم القتل والبدء به في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ [آل عِمْرَان:١٥٧]، إلى أنه تهييج وتحريض على القتال(٩٣)؛ وذلك لأن الآية كانت في حادثة غزوة أحد؛ فناسب تقديم القتل على الموت مراعاة للمقام والحادثة. واختلف الترتيب في الآية التي بعدها حيث تقدم الموت على القتل: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [آل عِمْرَان: ١٥٨]، فالمقام -هنا- عن الحشر يوم القيامة؛ فناسب البدء بالموت؛ لأنه الأكثر في الناس.

ومن أسرار التقديم والتأخير وبلاغته عند البسيلي مراعاة الفواصل القرآنية؛ حيث علل تأخر القيام عن السجود في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفُرْقَان: ٦٣-٦٤]، إلى أن المراد بالقيام ما بعد السجود أو لرؤوس الآي(٩٤)، ولو جعل البسيلي سبب التأخير في الآية إلى الأمرين معًا، واستخدم (واو العطف) بدلًا من (أو) لكان أحسن وأبلغ؛ حتى يجمع في بلاغه الفاصلة القرآنية بين بلاغه المعنى والشكل. ومن إعجاز القرآن الدقة في اختيار اللفظ المناسب للمعنى ووضعه في المكان المناسب تقديمًا وتأخيرًا، ومن ذلك إعجازه في فواصله التي تجمع بين جمال اللفظ وبلاغه المعنى؛ يقول الرماني: "وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة، لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها"(٩٥).

٣- خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر

الأصل أن الكلام يأتي على مقتضى الظاهر، ولكنه قد يخرج على خلافه لنكتة بلاغية، وهذا الباب في البلاغة من أدق الأبواب مسلكًا وأكثرها عمقًا، يجمع بين فنون شتى من علوم البلاغة القرآنية، وهو من الأساليب التي تكثر في آيات القرآن الكريم(٩٦).

وقد أشار البلاغيون إلى العديد من الصور التي يخرج فيها الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، ومنها الالتفات، ووضع الظاهر موضع المضمر والعكس، والتغليب، والتعبير عن المستقبل بلفظ الماضي وعكسه وغيرها(٩٧). وقد نبّه البسيلي في كتابه على بعض الصور التي خرج فيها الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، ومن ذلك الالتفات:

---

(٩٢) انظر: التحرير والتنوير (١١٣/١٣).

(٩٣) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (١٢٩/٢).

(٩٤) انظر: المصدر السابق (٣٤٠/٢).

(٩٥) النكت في إعجاز القرآن (مطبوعا ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، علي الرماني، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر ط٣، ١٩٧٦م، ص٩٧.

(٩٦) انظر: بلاغة القرآن الكريم؛ دراسة في أسرار العدول في استعمال صيغ الأفعال، ظافر العمري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ، ص٥.

(٩٧) انظر: الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، إبراهيم بن محمد بن عربشاه، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، (٣٢/١ – ٣٦).

وهو عند جمهور البلاغيين: "التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها"(٩٨). وهذه الطرق هي الغيبة والخطاب والتكلم. ويعدّه بعض البلاغيين أجل علوم البلاغة، وأمير جنودها، والواسطة في قلائدها وعقودها(٩٩). ومما نبّه عليه في هذا النوع تبدل التعبير في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفَاتِحَةِ: ٥]، من الغيبة إلى المخاطب، ولو جرى الكلام دون التفات لكانت الآية (إيّاه نعبد وإياه نستعين). وعلل النكتة البلاغية في هذا بقوله: "لما أجرى الحامد ما ذكرنا من الصفات على اسم الذات صار كالحاضر المشاهد، فصلح لأن يخاطب بقوله إياك"(١٠٠). فالسورة الكريمة لما بدأت بإثبات الحمد لله، وأنه المستحق لجميع المحامد، وأنه المتصف بالربوبية لجميع الخلق، والمتصف بالرحمة، ومالك يوم الحساب والجزاء حينها كان العبد الحامد لله ارتقى من الغيبة إلى الحضور والمشاهدة، فناسب أن يتغير التعبير من الغيبة إلى الخطاب في قوله (إيّاك).

ولئن ألمح المؤلف إلى سر الالتفات في هذا الموضع، فإنه في مواضع أخرى لا يتجاوز الإشارة إلى موضع الالتفات والتنبيه عليه إلى بيان سرّه البلاغي، أو يعلل سبب تغيير طريق التعبير إلى طريق آخر. ومن ذلك ما نبّه عليه عند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ۝٦٦﴾ [هُود: ٦٦]. حيث قال: "التفات من التكلم وهو (أمرنا) وما بعده إلى الغيبة"(١٠١). حيث جاء التعبير بصيغه التكلم في قوله (أمرنا، نجينا، منّا) ثم انتقل إلى صيغة الغيبة في قوله (إن ربّك).

وينبّه على الالتفات في قوله تعالى: ﴿ولاتَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ [يُونُس: ٦١]. حيث قال: "فيها التفات عن التكلّم إلى الغيبة وهو (إلا كنّا) إلى الغيبة وهو (ولا يعزب عن ربك)"(١٠٢) دون محاولة إبراز جماليات هذا الالتفات؛ ولعل هذا يعود إلى طبيعة تفسيره الموجز القائم على اللمحة والتنبيه السريع دون توسع واستطراد. ولعل سر الالتفات من التكلم إلى الغيبة في قوله (ولا يعزب عن ربك) لإحداث التناسب والتناغم بين صيغة الغيبة مع المعنى الذي يدل على أنه لا يبعد عن الله ولا يغيب عن علمه من مثقال ذرة(١٠٣). ويظهر من عناية البسيلي بالالتفات أنه يشير إليه وينبّه عليه حال تعدد القراءات في الآية كما نبّه على الالتفات في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [النِّسَاء: ١٣]، حيث نبّه على القراءة في (يدخله) وأنها قرئت بالياء والنون (يدخله، ندخله)، وبيّن أن القراءة بالتكلم التفات(١٠٤). وقد نسب البسيلي إلى الزمخشري أن قراءة الغيبة

---

(٩٨) الإيضاح (١/١٥٧).

(٩٩) انظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠م، (٢/١٣١).

(١٠٠) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٢/٦١).

(١٠١) المصدر السابق (٢/٢٣٨).

(١٠٢) المصدر السابق (٢/٢٢٤).

(١٠٣) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين عبد الله البيضاوي، تقديم محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط١، ١٩٩٨م، ٣(١١٧/٢).

(١٠٤) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٢/١٥٥).

التفات وهذا -يبدو- اتباع لما ذكره ابن عرفة[١٠٥] وهو وهم؛ إذ ليس في الكشاف ذكر للالتفات في هذا الموضع، وإنما اقتصر على أن (يدخله) قرئ بالياء والنون دون الإشارة إلى الالتفات[١٠٦].

ويلمح القارئ الإشارة إلى الالتفات عند البسيلي وإن لم ينبّه عليه صراحة، كما جاء عند قوله تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ١٥٧﴾ [آل عِمْرَان: ١٥٧]، حيث نبّه على القراءة في (يجمعون) أنها جاءت بالغيبة (يجمعون) فَعْلٌ، وبالخطاب (تجمعون) أَفْعَل[١٠٧]، وقراءة الخطاب تناسب الظاهر وتوافقه، وهي أشكل بالكلام كما ذكر ابن عطية[١٠٨]. أما بالغيبة فإنه يتغير التعبير من المخاطب (قُتلتُمْ- مُتُّمْ) إلى الغائب (يجمعون). والمعنى على قراءة الغيبة أن مغفرة الله ورحمته خير مما يجمعه المنافقون وغيرهم، وبالخطاب على وفق السياق أن مغفرة الله ورحمته خير لكم أيها المؤمنون وأفضل مما تجمعونه في حياتكم الدنيا.

ومن صور الخروج التي نبّه عليها البسيلي: وضع الظاهر موضع المضمر، وذلك عند قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ٢﴾ [الرَّعْد: ٢]. حيث أوقع الظاهر موقع المضمر في (بلقاء ربكم)[١٠٩] ولو جرى الكلام على الظاهر لكان (بلقائه). ولم يشر البسيلي إلى السر البلاغي أو الجمالي لهذا الخروج. ولعل هذا الإظهار للتأكيد وزيادة التقرير. واستخدم لفظ (الرب) الدال على الربوبية؛ ليناسب السياق ونظم الآية المتضمن الخلق والتدبير والامتنان بتسخير الشمس والقمر للناس.

ومما نبّه عليه المؤلف من صور الخروج على مقتضى الظاهر التغليب، وهو "إعطاء الشيء حكم غيره، وقيل: ترجيح أحد المغلوبين على الآخر، أو إطلاق لفظه عليهما؛ إجراء للمختلفين مجرى المتفقين"[١١٠]. ومن ذلك ما جاء عند قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ٢٩﴾ [يُوسُف:٢٩]. حيث جاءت الآية الكريمة بالتذكير (الخاطئين)، ولم تكن من (الخاطئات) بالتأنيث من باب تغليب المذكر على المؤنث، وتعقّب البسيلي القول بأن المعنى: من جنس الخاطئين أو من نسل الخاطئين، وأنه غير مناسب؛ لأن المقصود -كما يرى- أنها من الخاطئين لا من نسلهم[١١١]. ويقف البسيلي عند قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٠٥﴾ [الشُّعَرَاء: ١٠٥]. منبّهًا على جمع كلمة (المرسلين)، وأنها من استعمال اللفظ

---

(١٠٥) انظر: المصدر السابق (١٥٥/٢). وتفسير ابن عرفة، محمد بن عرفة، تحقيق جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ٢٠٠٨م (١٧/٢).

(١٠٦) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ (٤٨٧/١).

(١٠٧) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (١٢٩/٢).

(١٠٨) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، (٥٣٣/١).

(١٠٩) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٢٦٩/٢).

(١١٠) البرهان في علوم القرآن (٣٠٢/٣).

(١١١) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٢٥١/٢).

في حقيقته على اعتبار أن أقل الجمع اثنان، وهما آدم ونوح عليهما السلام. أو أنها من استعمال اللفظ في المجاز، على اعتبار أن نوحًا -عليه السلام- أول رسول أُرسل، فالجمع لأن من كذّب رسولًا واحدًا، فقد كذّب جميع الرسل[١١٢]. وقد ذهب البلاغيون إلى أن جميع باب التغليب من المجاز[١١٣]. وعلى هذا يكون الجمع (المرسلين) مقصودًا به المفرد (المرسل) وهو نوح -عليه السلام- لكن الآية أعطت الشيء حكم غيره كما هو في تعريف التغليب المذكور سابقًا. ويذهب بعض الباحثين إلى أن وضع الجمع موضع الواحد كما في هذه الآية لتعظيم جرم المكذبين بالرسل، وأن من يكذبون نبيهم فإنهم لا يكذبونه وحده، وإنما يكذبون جميع الرسل؛ مما ينذر بعظيم الانتقام من الله[١١٤].

ويشير البسيلي إلى النكتة البلاغية في مجيء ضمير الجمع مع أن المراد به واحد حسب تفسيره وهو سليمان- عليه السلام- وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ [النَّمل: ٣٥]. أن هذا الجمع تعظيم له عليه السلام، أو أن الله ألهمهما تعظيمه تشريفًا له[١١٥]، وهذا الخروج على مقتضى الظاهر من باب إعطاء الشيء حكم غيره. وقد ذهب مفسرون آخرون إلى أن ضمير الجمع (إليهم) المراد به سليمان- عليه السلام- وقومه وجنوده، وعليه فإن الكلام يكون هنا جاريًا على ظاهره، ولا خروج فيه[١١٦].

ومن صور خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر أن يعبر عن المضارع بلفظ الماضي، أو عن الماضي بلفظ المضارع، أو عن المضارع باسم الفاعل أو المفعول إلى غير ذلك[١١٧]. ولم يفت البسيلي هذا الخروج، حيث نبّه عليه في بعض المواضع في كتابه، ومن ذلك ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ [الرَّعْد: ٢٧]، حيث نبّه أن التعبير جاء بالمضارع (يقول) مع أن القول قد وقع في الماضي، ثم بيّن النكتة البلاغية في هذا التعبير بالمضارع إلى أنه إشارة إلى تجدد هذا القول من الكفار[١١٨].

وينبّه المؤلف عند قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ [آل عِمْرَان: ١٣]، إلى تنوع التعبير في هذه الآية، حيث عبرت أولًا بالفعل وثانيًا بالاسم (تقاتل- كافرة)،

(١١٢) انظر: المصدر السابق (٣٤٧/٢-٣٤٨).

(١١٣) انظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ، ص٣٩٤. والعدول عن المثنى إلى المفرد أو الجمع وعكسه في القرآن الكريم: دراسة دلالية، هنية عريف، مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، كلية الآداب، جامعة ذمار، اليمن، ع١٢، ٢٠٢١م، ص١٦٧.

(١١٤) انظر: الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ؛ دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن، محمد الأمين الخضري، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ، ص١٠٦.

(١١٥) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٣٥٦/٢).

(١١٦) انظر: تفسير البغوي (معالم التنزيل)، الحسين البغوي، حققه: محمد النمر وعثمان ضميرية وسليمان الحرش، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ، (١٦٠/٦). ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين إبراهيم البقاعي، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م (٤٢٤/٥).

(١١٧) انظر: من بلاغة النظم القرآني؛ دراسة بلاغية تحليلية لمسائل المعاني والبيان والبديع في آيات الذكر الحكيم، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٠م، ص١٤٥.

(١١٨) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٢٨٢/٢).

وعلل النكتة في ذلك أن القتال من الأفعال المتجددة غير الثابتة؛ ولذلك عبَّر عنه بالفعل المضارع المقتضي التجدد، وأما الكفر فهو اعتقاد قلبي ثابت؛ ولذلك عبر عنه بالاسم(١١٩).

وينبّه البسيلي إلى أن الآية الكريمة عبرت بالفعل الماضي (قتل) في قوله تعالى: ﴿وما كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا﴾ [النِّسَاء: ٩٢]، بعد الفعل المضارع (يقتل)؛ لمناسبة سبب نزول الآية(١٢٠)، وعند قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ [آل عِمْرَان: ١٨١]، نبّه المؤلف إلى العدول في الآية، حيث عبرت بالمستقبل (سنكتب) بعد الماضي (سمع)، ولم تعبر بالماضي (ولقد كتبنا)، وعلل سر هذا العدول بأنه راجع إلى أن المراد هو لازم الكتابة، وهو الجزاء، وهذا في المستقبل(١٢١). وينبّه إلى أن التعبير بالفعل الماضي (فزع) عن المضارع في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النَّمْل: ٨٧]، إشارة إلى تحقق وقوعه(١٢٢). ويكثر هذا الأسلوب في الموضوعات العظيمة المتوعدة في الآخرة.

٤- الإيجاز والإطناب

تناول البلاغيون هذين الفنين، وتوسعوا في بيان مواضع كل واحد منهما، ومحاسنه في اللغة. وقد عُني العرب بالإيجاز وهو: "أن يكون اللفظ أقل من المعنى مع الوفاء به"(١٢٣) حتى إن بعضهم عدّ البلاغة هي الإيجاز(١٢٤)، وعدّه ابن جني من شجاعة العربية(١٢٥).

ومع احتفاء البلاغيين بالإيجاز إلا أنهم يؤكدون على أنه يجب أن يأتي حسب ما يقتضيه المقام ويطلبه، ومدى الحاجة الفنية إليه. وهذا ما نبّه عليه ابن قتيبة عندما قال: "ولو كان الإيجاز محمودًا في كل الأحوال لجرَّده الله تعالى في القرآن، ولم يفعل الله ذلك، ولكنه أطال تارةً للتوكيد، وحذف تارةً للإيجاز، وكرر تارةً للإفهام"(١٢٦).

وهكذا الإطناب وهو: "زيادة اللفظ على المعنى لفائدة"(١٢٧) له مواضعه التي يحسن فيها، مما يقتضيه السياق والمقام وأحوال المخاطبين، وفي هذا يقول أبو هلال العسكري: "الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام، وكل نوع منه، ولكل واحد منهما موضع، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الأطناب في مكانه، فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته، واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز، واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ"(١٢٨).

---

(١١٩) انظر: المصدر السابق (٢/٩٩-١٠٠).

(١٢٠) انظر: المصدر السابق (٢/١٨٢).

(١٢١) انظر: المصدر السابق (٢/١٣٥).

(١٢٢) انظر: المصدر السابق (٢/٣٦٤).

(١٢٣) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص٢٠٢.

(١٢٤) انظر: البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، (١/٩٦).

(١٢٥) انظر: الخصائص، عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، (٢/٣٦٠).

(١٢٦) أدب الكاتب، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط١، ١٩٨٢م، ص١٩.

(١٢٧) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، ط٢، (٢/٢٤٤).

(١٢٨) كتاب الصناعتين؛ الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط١، ١٩٥٢م، ص١٩٠.

وللبسيلي عده تنبيهات على مواضع الحذف تدل على عنايته بهذا الأسلوب وانتباهه له، لكن تناوله له متفاوت المعالجة؛ فأحيانا يكتفي بالتنبيه على الحذف دون تعليق أو توجيه أو بيان السر البلاغي أو السبب لذلك الحذف، ومن ذلك عند آية: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرَّحْمَٰن: ٤٦]. حيث نبّه على أنها في الآية حذف، أي: هول مقام(١٢٩). ولم يزد على ذلك بيانًا وتوجيهًا أو تعليلًا.

وفي موضع آخر من كتابه ينبّه عند قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ﴾ [آل عِمْرَان: ١٨١]. أن نسبة القتل إليهم مجاز، أو على حذف مضاف، أي قتل آبائهم(١٣٠). ولم يبين النكتة لهذا الحذف وسبب التقدير، وهو أن اليهود زمن الرسالة المحمدية لم يحدث منهم قتل للأنبياء، لكن أسند إليهم القتل الذي فعله آباؤهم الأولون وأسلافهم؛ لأنهم راضون به، ومتبعون لمن فعله من آبائهم(١٣١).

وينبّه البسيلي كثيرًا على الحذف مع الإشارة إلى سببه ومقتضاه، ومن ذلك حذف (كثيرًا) بعد (نساء) في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النِّسَاء: ١]. حيث نبّه على أن الكثرة وصف بها الرجال -هنا- دون النساء، وهذا الحذف من الثاني لدلالة الأول(١٣٢).

وهذا السبب المذكور هو الأصل في المحذوفات جميعها، حيث أشار ابن الأثير إلى ذلك عندما قال: "والأصل في المحذوفات جميعها على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف، فإن لم يكن هناك دليل على المحذوف، فإنه لغو من الحديث، ولا يجوز بوجه ولا سبب"(١٣٣).

وكثيرا ما ينبّه البسيلي على حذف التقابل الذي يفهم من السياق القرآني، ومن ذلك ما نبّه عليه عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ [إِبْرَاهِيم: ٢٢]. حيث لم يقل (وعد الباطل) مقابل (وعد الحق) ولم يقل في وعد الله (فصدقكم) مقابل ما قاله عن وعد الشيطان (فأخلفتكم)(١٣٤). وهذا الحذف أشار إليه بعض المفسرين كالبقاعي حين قال: "ذكر وعد الحق أولًا دليلًا على حذف ضده ثانيًا، وأخلفتكم ثانيًا دليلًا على حذف صدقكم أولًا"(١٣٥).

ومن الحذف الشائع في القرآن الحذف في نظم القصة القرآنية، وقد نبّه على هذا الحذف البسيلي عندما قال: "وقصص القرآن فيها حذف دلّ عليه السياق"(١٣٦)، وهو ما أشار إليه البلاغيون حين يتناولون دراسة القصة

(١٢٩) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٥٧٥/٣).

(١٣٠) انظر: المصدر السابق (١٣٥/٢).

(١٣١) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، تحقيق: على الصالحي، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ط١، ٢٠١٨م، (٦٠٣/١). والجامع لأحكام القرآن (٤٤٣/٥).

(١٣٢) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (١٤٨/٢) ومواضع أخرى (٧٣/٢، ١٢٢).

(١٣٣) المثل السائر (٢٦٨/٢).

(١٣٤) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٢٩٢/٢).

(١٣٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٨٢/٤).

(١٣٦) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٣٤٧/٢).

القرآنية أو الحذف في الأسلوب القرآني. وهذا الحذف يكون فيما يستغنى فيه عن التفصيلات الجزئية مما يمكن أن يدرك من السياق، ويفهم من قرائن أحواله. ولهذا الحذف أغراض من أهمها: إبراز المشاهد الأساسية في القصة، وتحريك ذهن المخاطب وإثارة وجدانه، فيتابع أحداث القصص القرآني بوعي، ويقف على مواطن العبرة فيه(١٣٧).

ومن المواضع التي نبّه فيها البسيلي على الحذف في نظم القصة القرآنية عند قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٦٣]. إذ ذكر عند تفسير (فانفلق): "قالوا أي: ضرب فانفلق"(١٣٨)، فهنا نبّه على الحذف، وقدّره بناءً على السياق ودلالة الحال بـ(ضرب).

ويناقش المؤلف رأي بعض المفسرين الآخرين في مواضع الحذف وتقديره في بعض القصص القرآنية، ويستدرك عليهم كما فعل عند قوله تعالى في قصة قابيل وهابيل: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المَائِدَة: ٣١]. حيث نقل رأي أبي حيان الأندلسي وتقديره للحذف في نظم القصة، وهو أن قبل (فأصبح من النادمين) جملة محذوفة، تقديرها فوارى سوءة أخيه(١٣٩). وتعقبه بأن هذا لا حاجة إليه، معللًا ذلك بأن ندمه ليس على المواراة، بل على قتل أخيه وحمله إياه على عاتقه عامًا كاملًا وحيرته به حتى بعث إليه الغراب(١٤٠). ولم يغفل البسيلي عن الحذف وتقديره حين يذكر اختلاف المفسرين وتعدد أقوالهم في تفسير بعض الآيات، ومن ذلك ما ذكره ونبّه عليه عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ﴾ [يُونُس: ١٣]. حيث ذكر قولين في معنى (القرن) فقد قيل: إنه عبارة عن الزمان، وقيل: عبارة عن أهله. وعلى الأول يكون المعنى: ولقد أهلكنا أهل القرون. وعليه فيكون في الآية حذف مضاف، أما على المعنى الثاني فإن الآية لا حذف فيها(١٤١).

وللبسيلي عده وقفات مع الإطناب، وكان أكثر وقفاته وتنبيهاته على الاحتراس، وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه(١٤٢). ونجده –أحيانًا– يكتفي بالتنبيه دون التعليل والتوضيح وبيان النكت البلاغية لهذا الاحتراس، ومن ذلك ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النِّسَاء: ١٠٢]. حيث نبّه على أن قوله (وخذوا حذركم) احتراس(١٤٣).

ولم يزد على ذلك؛ وهذا قد يرجع إلى طبيعة تأليفه القائم على التنبيهات وعلى الاختصار، وثقة في فهم القارئ في استخراج النكتة لهذا الاحتراس من سياق الآية، فإذا كانت الآية بينت أنه لا حرج عليهم ولا إثم في وضع أسلحتهم في حال أصابهم أذى من المطر أو كانوا مرضى، فإنها تأمر بأخذ الحذر والاحتياط من العدو الذي قد يهجم عليهم بغتة وهم في حاله غفلة وعدم استعداد.

---

(١٣٧) انظر: من بلاغة النظم القرآني، ص١١٢– ١١٣.
(١٣٨) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٣٤٧/٢).
(١٣٩) انظر: البحر المحيط، ص٤٨١.
(١٤٠) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (١٩٣/٢).
(١٤١) انظر: المصدر السابق (٢١٨/٢).
(١٤٢) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة (٣١٠/١).
(١٤٣) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (١٨٥/٢)، وانظر مثالاً آخر (٢١٠/٢).

وفي مواضع أخرى نجد البسيلي يحرص على إبراز النكتة البلاغية في الاحتراس؛ مما يزيد في توضيح المعنى، ويضيف عليه جمالًا ورونقًا، ومن ذلك ما نبّه عليه عند قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النِّسَاء: ٥٩]. حيث أشار إلى أن قوله (منكم) احتراس، وعلل ذلك بأن النفوس تأنف من أن يأتمَّ عليها من هو مثلها، أو من قبيلتها أو قرابتها[١٤٤]. وهذه لفتة نفسية مهمة من المؤلف.

ويقف المؤلف على الاحتراس عند قوله تعالى: ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ٧﴾ [الأَعۡرَاف: ٦ - ٧]. وينبّه أن قوله تعالى (فلنقصن عليهم) احتراس بعد قوله (فلنسألن) حتى لا يفهم أن السؤال سؤال استعلام[١٤٥]. وهذا الاحتراس الذي نبّه عليه البسيلي مهم؛ لرفع التوهم، ودفع شبهة التعارض في القرآن. فالسؤال في الآية السابقة سؤال تقريع وتوبيخ، ليتلفظوا بألسنتهم، ويشهد عليهم أنبياؤهم بما فعلوا[١٤٦]. إذ ورد في القرآن نفي سؤال الاستعلام[١٤٧]. وعند قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ﴾ [إِبۡرَاهِيم: ٣٢]. نبّه المؤلف على الاحتراس في قوله (بأمره)، لدفع توهم أن يكون للنواتيّة/ملاحي السفينة كسب في جريانها[١٤٨]، وهذا لحماية معتقد المسلم ونسبة النعمة إلى موجدها ومن كانت منه.

والتكرار أحد مواضع الإطناب[١٤٩]. التي نبّه عليها المؤلف في تفسيره، ومن ذلك ما أشار إليه عند قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ٧١﴾ [النِّسَاء: ٧١]. من أن تكرار الفعل (انفروا)؛ لاختلاف الفعلين حسب الحالة والواقع من كثرة الخوف وقلته[١٥٠]، وهذا التعليل من المؤلف يدل على وعيه بقيمه التكرار البلاغية، وأثره على المعنى المراد. إضافة إلى أن تكرار (انفروا) يحمل دلالة على أهمية الدعوة إلى النفير ومواجهة العدو.

وينبّه على السر البلاغي من تكرار اللفظ (رب) وإعادته في دعاء إبراهيم -عليه السلام- في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إِبۡرَاهِيم: ٣٥-٣٦]. بأنه تطرية ودعاء[١٥١]. وهذا يبين وعي المؤلف بأهمية التكرار في هذا المقام ومناسبته للسياق، فإن مما يحسن فيه التكرار مقام الدعاء والتضرع وطلب الحاجة من الله، كما يحسن الإطراء والثناء للمدعو. وعند قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الفَتۡح: ٢٦]. ينبّه

(١٤٤) انظر: المصدر السابق (٢/١٧٣).

(١٤٥) انظر: المصدر السابق (٢/٢٠٤).

(١٤٦) انظر: الروض الريان في أسئلة القرآن، شرف الدين الحسين بن ريان، تحقيق: عبد الحليم السلفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٩٩٤م، (٢/٥٦).

(١٤٧) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/٦).

(١٤٨) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٢/٢٩٧).

(١٤٩) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص٣٠٤.

(١٥٠) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٢/١٧٤).

(١٥١) انظر: المصدر السابق (٢/٣٠١).

المؤلف على إعادة (على) مع المؤمنين إشارة إلى أن السكينة مقولة بالتشكيك، وإلى أنها على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أعظم(١٥٢). وهذا التوجيه من البسيلي يدل على وعيه بواقع الحادثة واستحضارها، فقد كان الصحابة مترددين ومتذمرين من الصلح مع كفار قريش، ولذا ناسب إعادة (على) مرة أخرى. وتصور إنزال السكينة على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أقرب إلى ذهن المتلقي من إنزالها على المؤمنين، ومن هنا فإن إعادة (على) مع المؤمنين للتأكيد، وإبعاد التشكيك في إنزالها عليهم كذلك.

ويشير البسيلي إلى عطف الخاص على العام، وهو أحد مواضع الإطناب(١٥٣)، وذلك عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ [إِبْرَاهِيم: ٦]. إذ عطف (يذبحون) بالواو، وعلل ذلك بأن سوء العذاب أعمّ، والذبح والاستيحاء أخص. والأخص يعطف على الأعم(١٥٤). وهذا العطف للاهتمام ومزيد من التفصيل والتوضيح، كما أنه يناسب سياق الآية في بيان نعم الله على بني إسرائيل التي يعددها موسى -عليه السلام- ويجعل العطف في: (ونجعلهم أئمة) وما بعده في قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝﴾ [القَصَص: ٥]. من عطف الخاص على العام؛ لأن المنّ في الآية يتناول جعلهم أئمة وجعلهم وارثين(١٥٥).

٥- الوصل والفصل

يعرف الوصل بأنه: عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركه(١٥٦). وهو باب مهم في البلاغة، وقد عدّه عبد القاهر الجرجاني من أسرارها، ولا يتأتى إلا للأعراب الخلص والأقوام الذين طبعوا على البلاغة. ومن علو مكانة هذا الموضوع أن جُعِلَ حدًا للبلاغة(١٥٧). وعلى الرغم من أهمية هذا الباب، وكثرة فوائده وأسراره البلاغية، إلا أن البسيلي لم يقف عنده كثيرًا، ولم ينبّه عليه ويوازن بين الوصل والفصل إلا في مواضع قليلة منها ما جاء في سوره إبراهيم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [إِبْـرَاهِيم: ٦]. حيث جاءت الآية الكريمة بالوصل بين جملة (يسومونكم) و(يذبحون)، بينما جاءت آية البقرة بالفصل: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [البَقَرَة: ٤٩]. وذهب إلى أن النكتة البلاغية في العطف بالواو على أنه من عطف الخاص على العام؛ إذ سوء العذاب أعمّ، والذبح والاستحياء أخص، والأخص يعطف -تارة- على الأعم.

---

(١٥٢) انظر: المصدر السابق (٥٤٧/٣).
(١٥٣) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة (٣٠٣/١).
(١٥٤) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٢٨٦/٢).
(١٥٥) انظر: المصدر السابق (٣٦٨/٢).
(١٥٦) انظر الإيضاح في علوم البلاغة (٢٤٦/١).
(١٥٧) انظر: دلائل الإعجاز، ص٢٢٢.

بينما الفصل وترك العطف في سوره البقرة على اعتبار أن (يذبحون) تفسيرًا وبيانًا لسوء العذاب(١٥٨). فهو من كمال الاتصال كما ذكره الألوسي والقاسمي في تفسيرهما(١٥٩). وهذا الاختلاف في النظم في الموضعين من الآيتين الكريمتين كان محل توضيح وتعليل لكثير من المفسرين والبلاغيين المهتمين بالنظم القرآني والمتشابه اللفظي. وقد أشار بعضهم إلى سبب آخر غير ما ذكره البسيلي، وهو أن الاختلاف مرده إلى السياق القرآني واختلافه في هذين الموضعين؛ ففي سوره إبراهيم كان السياق من كلام موسى –عليه السلام– وهو يعدد نعم الله على قومه، والمحن التي أنقذهم الله منها، حيث جاء في الآية الخامسة: (وذكرهم بأيام الله) وفي الآية السادسة: (وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمه الله عليكم) وهذا المعنى يناسبه العطف، أما في سوره البقرة فقد كان السياق من كلام الله تعالى، حيث أخبر أنه هو الذي نجى بني إسرائيل، فالمقام ليس مقام تعداد للنعم عليهم والمحن التي أصابتهم، ولذا جاءت الآية دون العطف(١٦٠).

ويذهب عصام الدين الحنفي إلى أن الفصل جاء على اعتبار (يسومونكم سوء العذاب) مطلق العذاب، سواء كان باعتبار أنفسهم أو محبوبهم؛ ولذا جاء (يذبحون أبناءكم) بيانًا للعذاب. أما الوصل فعلى اعتبار أن العذاب كان واردًا على أنفسهم و(يذبحون) مغاير له مستحق للعطف لا للبيان(١٦١).

وينبّه البسيلي على النكتة من مجيء الواو في قوله تعالى حكاية ما قاله أصحاب الأيكة لنبيهم شعيب –عليه السلام–: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ١٨٥- ١٨٦]. وتركها في حكاية ثمود لنبيهم صالح –عليه السلام–: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ١٥٣-١٥٤]. حيث ذكر أن العطف بالواو يدل على أنهم قصدوا غلبة السحر عليه؛ وهذا منافٍ للرسالة عندهم، ولما جاء العطف بالبشرية اجتمع في قولهم أمران منافيان للرسالة وهما: التسحير والبشرية. وفي ترك الواو في قول قوم صالح دلاله على أنهم أرادوا معنى واحدًا، وهو أن بكونه مسحرا كونه بشرًا(١٦٢). وهذا التنبيه أشار إليه عدد من المفسرين فالزمخشري ذكر أن إدخال الواو في قصه شعيب –عليه السلام– قُصد به معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم: التسحير والبشرية، وأن الرسول لا يجوز أن يكون مسحرًا، ولا يجوز أن يكون بشرًا، وترك الواو في قصة ثمود؛ لأن المقصود معنى واحد، وهو كونه مُسَحَّرًا، ثم قرر بكونه بشرًا مثلهم(١٦٣).

---

(١٥٨) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٣٨٦/٢).

(١٥٩) انظر: روح المعاني (١٨٩/١٣)، ومحاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، ضبطه وصححه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ، (٣٠١/٦).

(١٦٠) انظر: درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار بن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٤٠هـ، ص٣٣. والبرهان في متشابه القرآن، ص٣٦. والفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفيّة، سليمان العجيلي الشهير بالجمل، ضبطه وصححه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٥، ١٤٣٩هـ (٧٥/١).

(١٦١) انظر: الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم (٢٣/٢).

(١٦٢) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٣٥١/٢).

(١٦٣) انظر: الكشاف (٣٣٣/٣). وفتح البيان في مقاصد القرآن، صديّق حسن القنوجي، عني بطبعه وقدم له وراجعه: عبد الله الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٢هـ (٤١٥/٩). والتحرير والتنوير (١٨٦/١٩).

ويشير بعضهم إلى أن مجيء الواو وتركها جاء متناسبًا مع السياق القرآني المختلف في الموضعين، فحيث كثرت المعطوفات في قصه شعيب -عليه السلام- وتعدد المأمور به والمنهي عنه ناسب مجيء الواو، وحيث كانت المعطوفات في قصه صالح -عليه السلام- أقل ناسب ترك الواو فيها(١٦٤).

ويقف البسيلي عند العطف بالفاء في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ﴾ [هُود: ٤٥]. مكتفيًا بالإشارة إلى أن ابن عرفه نقل الرأي الزمخشري في الوصل بالفاء للفصل دون نقله بحرفه(١٦٥). وقد كان الزمخشري طرح سؤالًا عن سبب العطف بالفاء، حيث قال: فإن قلت: فإذا كان النداء هو قوله ربِّ فكيف عطف فقال ربِّ على نادى بالفاء؟ قلت: أريد بالنداء إرادة النداء، ولو أريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ﴾ [مَرْيَم: ٣-٤] بغير فاء(١٦٦).

ويذهب الألوسي إلى هذا الرأي موافقًا الزمخشري في أن معنى (ونادى) أي أراد؛ ولذا جاء العطف بالفاء (فقال) من باب التفريع، ويضيف رأيًا آخر وهو إن كان النداء على حقيقته فالعطف من باب التفصيل الذي يعقب الإجمال(١٦٧). فالعطف هنا ليس عطف معنى على نفسه، وإنما عطف كلام مفصل على مجمل. وفي موضع آخر يقف البسيلي عند دخول الفاء في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۝١٠٥﴾ [طه: ١٠٥]. وينقل النكتة البلاغية في اتصالها هنا من كلام العلامة السطّيّ -مسلّمًا له- بأن كل ما ورد في القرآن (يسألونك) فجوابه بغير فاء، إلا هذه الآية؛ لأنه حين نزولها لم يكونوا سألوا النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد، والتقدير: إن سألوك فقل(١٦٨). فالفاء في جواب الشرط. ويذهب آخرون إلى أن الفاء هنا عاطفة تفيد التعقيب والمسارعة؛ وذلك لأن بعض روايات أسباب النزول ذكرت أن قريشًا أو جماعة من ثقيف سألوا النبي -صلى الله عليه وسلم- عن حال الجبال يوم القيامة، فجاء الجواب مقرونًا بالفاء الذي يفيد التعقيب؛ لأن تأخير البيان في هذه المسألة الأصولية غير جائز، وحتى يزيل بسرعة ما في ذهن السائل من بقاء الجبال(١٦٩). وهذا الرأي الذي يعد الفاء عاطفة أقرب للصواب؛ لأنه يتوافق مع أسباب النزول، ولأن الرأي الأول الذي نقله البسيلي يحتاج إلى إثبات.

وقد يعرض البسيلي -أحيانًا- بعض القواعد البلاغية في كتابه، فهو حين بيّن أن الفاء في قوله تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ [آل عِمْرَان: ١٥٩]. هي للسبب لا عاطفة؛ علل بأنه لا يعطف الإنشاء على الخبر(١٧٠). لكن

---

(١٦٤) انظر: ملاك التأويل، ص٥٤٧. والبرهان في متشابه القرآن، ص٢٧٢. وفتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، زكريا الأنصاري، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار بن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٤٠هـ، ص٢٨٧.

(١٦٥) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٢/٢٣٣). وتفسير ابن عرفة (٢/٣٥٨).

(١٦٦) الكشاف (٢/٣٩٨).

(١٦٧) انظر: روح المعاني (١٢/٦٨). وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم؛ تفسير أبي السعود، محمد العمادي، تحقيق: محمد صبحي حلاق، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، (٤/٤٦).

(١٦٨) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٢/٣١٦-٣١٧).

(١٦٩) انظر: تفسير روح المعاني (١٦/١٦١ -١٦٢). واللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي بن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ، (١٣/٣٨٨).

(١٧٠) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٢/١٢٩).

هذه القاعدة لم يسلّم بها بعض المحققين ولا سيما وأنه ورد في القرآن الكريم عدد من الآيات التي جاء فيها عطف الإنشاء على الخبر وعكسه. وقد تعجب عبد القادر حسين من رأي البلاغيين وقاعدتهم في هذه المسألة رغم مجيء القرآن بعكس رأيهم، وهم قد استمدوا قواعدهم البلاغية في الدرجة الأولى من اعتمادهم على القرآن الكريم(١٧١).

وممن من ذهب إلى جواز العطف أبو حيان الأندلسي حيث ذكر "أن عطف الجمل بعضها على بعض ليس من شرطه أن تتفق معاني الجمل، فعلى هذا يجوز عطف الجملة الخبرية على الجملة غير الخبرية"(١٧٢)، وكذلك السمين الحلبي(١٧٣) وابن عادل الحنبلي(١٧٤) هذا الرأي هو الذي استقر عليه رأي الطاهر بن عاشور(١٧٥). وقال: "والقرآن طافح به"(١٧٦)، وقال الشنقيطي: "والتحقيق الذي دلّ عليه القرآن العظيم واستقراء اللغة العربية: هو جواز عطف الخبر على الإنشاء، والإنشاء على الخبر، وإن ظن منعه جماعة من علماء البلاغة ومن النحويين"(١٧٧). وعلى هذا فإنه يصح أن تكون الفاء في قوله تعالى ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ﴾ عاطفة تفيد التعقيب والسرعة في تنفيذ أمر الله بالعفو عنهم في الحال(١٧٨). عما بدر منهم في غزوة أحد. ويكون معنى السببية: بسبب أنك لست فظًا ولست قاسي، ولأن الغلظة تفرق الناس عنك؛ لهذا اعف عنهم.

٦- القصر

ينبّه البسيلي في كتابه على بعض مواضع القصر، وكان -في الغالب- يكتفي بالإشارة إلى القصر دون توجيه أو زيادة بيان لجمالية هذا القصر وأثره على المعنى، ومن ذلك ما ذكره أن تقديم الخبر في قوله تعالى: ﴿فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥ﴾ [هُود: ١٧]، لإفادة الحصر(١٧٩).

ويشير إلى أن وجه الحصر في قوله تعالى: ﴿عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لُقۡمَان: ٣٤]، تقديم الظرف(١٨٠)، دون تسليط الضوء على جمالية هذا التقديم، وأثره في معنى الآية، وهذا مناسب لطبيعة كتابه المختصر.

ولئن كان هذا الغالب في إشاراته إلى القصر، فإنه -أحيانًا- يناقش سبب مجيء القصر وعدمه، كما حدث عند قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَا﴾ [الزُّمَر: ١٤]، حيث تساءل عن سبب مجيء الحصر في قوله: ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَا﴾ دون قوله: ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦ﴾، وعلل أنه

---

(١٧١) انظر: أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٩٩.
(١٧٢) البحر المحيط (٢٥٢/١).
(١٧٣) انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، تحقيق: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ١٤٠٦هـ، (٢١٨/١).
(١٧٤) انظر: اللباب في علوم الكتاب (٤٠٥/٨).
(١٧٥) التحرير والتنوير (١٩٧/٢٨).
(١٧٦) المرجع السابق (٢١٠/٢٩).
(١٧٧) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق: خالد السبت، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٢٦هـ، (٨٩/٥).
(١٧٨) انظر: تفسير الفخر الرازي، (٦٧/٩). واللباب في علوم الكتاب، (١٨/٦).
(١٧٩) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٢٣٠/٢).
(١٨٠) انظر: المصدر السابق (٣٨٤/٢).

جاء في مقام الإنذار، والمبالغة في هذا المقام آكد منها في مقام البشارة؛ لأن دفع المؤلم آكد من جلب الملائم. كما أنه يناسب ما يدعيه رؤساء الضلالة لأتباعهم من حمل خطاياهم إن اتبعوهم، ولم يعرف أنهم قالوا لهم إن كان لنا ثواب فأنتم شركاؤنا فيه(١٨١). وهذا التعليل من المؤلف يدل على عمق وعيه وإحساسه بجمال النظم القرآني ودقته، وتلاؤم أسلوبه مع معناه.

وقد وقف المفسر ابن عاشور عند قصر الضلالة في هذه الآية دون قصر الهداية، وقارنه بآيات أخرى ورد فيها قصر الاهتداء كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [يُونُس: ١٠٨]، وقوله: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝٩٢﴾ [النَّمل: ٩٢]، وعلل عدم قصر الاهتداء في آية سورة الزمر إلى اختلاف المخاطب، فلما كان الخطاب للمشركين ناسب المقام استخدام القصر؛ لإفادة أن فائدة اهتدائهم لا تعود إلا لأنفسهم، خلافًا لآية الزمر فإنه الخطاب فيها موجه للنبي -صلى الله عليه وسلم- ليس فيها حال من ينْزل منزلة المُدِّل باهتدائه(١٨٢). وذهب إلى القصر في آية الزمر قصر قلب على خلاف مقتضى الظاهر؛ حيث أنزلت الآية الرسول -صلى الله عليه وسلم- في أسفه على ضلالهم المفضي بهم إلى العذاب منزلة من يعود عليه من ضلالهم ضُرٌّ(١٨٣). ويظهر في وقفات البسيلي وتنبيهاته وعيه بأنواع القصر وأقسامه، حيث إنه نبّه على نوع القصر عند قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عِمْرَان: ١٤٤]. ذكر أن الحصر -هنا- حقيقة، معللًا رأيه هذا أن الرسالة تستلزم جميع أوصاف الكمال(١٨٤). والباحث لا يوافق المؤلف فيما ذهب إليه من أن القصر هنا حقيقي؛ لأن هذا النوع عند البلاغيين هو: "ما كان غرض المتكلم منه أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحيث لا يتعداه إلى غيره أصلًا"(١٨٥). ومن المعلوم أن القصر في الآية قصر موصوف على صفة، والرسول- صلى الله عليه وسلم- ليس مقصورًا على الرسالة لا يتعداها إلى غيرها من الصفات، فهو يتصف بصفات أخرى غير الرسالة؛ فهو المربي والمجاهد والمعلم...، ومن هنا فالقصر في الآية قصر إضافي، وهو الذي: "يختص المقصور بالمقصور عليه بالنسبة إلى شيء معين -أي بالإضافة إليه- بحيث لا يتجاوزه إلى ذلك المعين"(١٨٦). والآية أرادت لفت انتباه الصحابة الكرام بعد حادثة معركة أحد وإشاعة مقتل النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى أنه -عليه السلام- مقصور على الرسالة لا يتعداها إلى الخلود والبراءة من الهلاك، وأنه وإن كان رسولًا فإنه يجري عليه ما يجري على غيره من البشر من أحوال وأعراض كالموت أو القتل(١٨٧).

---

(١٨١) انظر: المصدر السابق (٤٨٦/٣).
(١٨٢) التحرير والتنوير (٢٢/٢٤).
(١٨٣) انظر: المرجع السابق (٢٢/٢٤).
(١٨٤) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (١١٩/٢).
(١٨٥) علم المعاني، ص٢٨٦.
(١٨٦) المرجع السابق، ص٢٨٦.
(١٨٧) انظر: دلالات التراكيب؛ دراسة بلاغية، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧م، ص٦٥.

وينبّه البسيلي إلى الحصر في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ [الرَّعْد: ٣]. حيث إن نظم الآية جاء بتعريف طرفي الإسناد الضمير والاسم الموصول (وهو الذي) فأفاد الحصر والتعظيم(١٨٨). وفي الآية التي قبلها جاء أسلوب القصر -كذلك- بتعريف طرفي الإسناد (الله الذي) في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الرَّعْد: ٢]، ليحصل من الأسلوب البلاغي إفادة الاختصاص والعظمة والقدرة(١٨٩) على رفع السماوات بلا عمد نراها، والاستواء على العرش، وتسخير الشمس والقمر وجريانهما، وتدبر الأمر وتفصيل الآيات.

٧-التعريف والتنكير:

تناول البلاغيون التعريف والتنكير، وذكروا دواعي استعمال كل واحد منهما. وهي سياقات ترتبط -في أغلب الأحيان- بالمتكلم، وفي القليل منها بالمخاطب(١٩٠). وقد توقف البسيلي عند مواضع قليلة في كتابه لينبّه على النكتة البلاغية للتعريف أو التنكير. ومن ذلك عند قوله تعالى: ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ [النَّمْل: ٣٥]. حيث نبّه على تنكير (هدية) لعظمها في زعم الملكة بلقيس(١٩١). وكذلك نبّه على أن سبب التنكير في قوله تعالى: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾ [الأَحْزَاب: ٣٥]. وقوله: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [الفَجْر: ٢]. هو التعظيم للمغفرة والليالي(١٩٢).

ويقف المؤلف على الأسرار البلاغية في المتشابه اللفظي في القرآن وهو الآيات التي تكررت في القرآن الكريم، في القصة الواحدة من قصص القرآن أو موضوعاته، في ألفاظ متشابهة، وصور متعددة، وفواصل شتى، وأساليب متنوعة، تقديمًا وتأخيرًا، وذكرًا وحذفًا، وتعريفًا وتنكيرًا، وإفراد وجمعًا... مع اتفاق المعنى العام؛ لغرض بلاغي، أو لمعنى دقيق يراد تقريره(١٩٣).

ويهمنا -هنا- وقوفه في بعض المواضع عند المتشابه بالتعريف والتنكير، مثل وقوفه عند تعريف لفظة (البلد) وتنكيرها في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البَقَرَة: ١٢٦]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إِبْرَاهِيم: ٣٥]، فقد ذكر من أسباب مجيء لفظة (بلد) نكرة في سورة البقرة، ومعرفة في سور إبراهيم إلى أن سورة إبراهيم مكية، والبقرة مدنية، والمكي متقدم فناسب أن يكون الدعاء في الآية المتقدمة في سورة إبراهيم مبالغًا فيه بالتعيين (البلد)، أما الدعاء في سوره البقرة فمتأخر، فهو مؤكد للدعاء الأول، فلم يحتج فيه إلى المبالغة بالتعريف، ولذا جاء نكرة (بلدًا)(١٩٤). ويذكر احتمالًا آخر لهذا الاختلاف أنه

---

(١٨٨) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٢/٢٦٩).

(١٨٩) انظر: المصدر السابق (٢/٢٦٨).

(١٩٠) انظر: البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، والشركة المصرية العالمية للنشر -لونجمان، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م، ص٣٤١.

(١٩١) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٢/٣٥٦).

(١٩٢) انظر: المصدر السابق (٢/٤٠٩).

(١٩٣) المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية؛ دراسة تحليلية لتراث علماء المتشابه اللفظي، صالح عبد الله الشثري، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٥هـ، ص٤.

(١٩٤) انظر: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد (٢/٢٩٩-٣٠٠).

يحتمل أن تكون آية البقرة متقدمة النزول فناسب تعريف المتأخرة (البلد) في سورة إبراهيم؛ كما عرّف لفظ (الرسول) في قوله تعالى: ﴿أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المُزَّمِّل: ١٥ - ١٦]. حيث جاء اللفظ المتقدم نكرة والمتأخر معرفة(١٩٥). وهذه الاحتمالات التي ذكرها البسيلي في تعليل مجيء اللفظة مرة معرفة وفي أخرى نكرة لا تسلّم له، وفيها نظر؛ لأن هذا الدعاء من إبراهيم –عليه السلام– ولا علاقة له بنزول الآية في مكة أو المدينة، ولا حتى بالترتيب، وهو واقع سابقًا، لا فرق في حكايته عن إبراهيم –عليه السلام– بين نزوله بمكة أو المدينة(١٩٦).

الخاتمة:

- يغلب على البسيلي الإشارات السريعة والتنبيهات الموجزة على الفنون البلاغية، ومن أبرزها بلاغة النظم والتراكيب القرآنية، ولكنها دالة ومهمة في سياقاتها برغم ذلك.
- وبرزت عنايته بالخبر والإنشاء والتمييز بينهما، مع الإشارة –أحيانًا– إلى أثر ذلك في الحكم الشرعي. ونبّه على أغراض الخبر وأضربه المتنوعة، ونكتة التأكيد في بعض النظم القرآني وعدمه. مع الإشارة إلى بعض أدوات التأكيد كالسين وسوف ولام الابتداء.
- حظي الأمر والاستفهام بعناية البسيلي وتنبيهاته من بين أساليب الإنشاء الأخرى؛ فنبّه عليهما في مواضع عدّة، وعلى الأغراض البلاغية التي يخرجان إليهما.
- وأولى البسيلي عنايته بالتنبيه على التقديم والتأخير في التراكيب القرآنية، وأبان عن بعض أسراره وأسبابه.
- وتعدت تنبيهات البسيلي على خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر؛ حيث نبّه على بعض صوره كالالتفات، ووضع الظاهر موضع المضمر، والتغليب، والتعبير عن المضارع بلفظ الماضي وعكسه.
- لم يغفل البسيلي الوقوف عند أسلوبي الإيجاز والإطناب؛ حيث نبّه على مواضعهما في بعض الآيات، وكان يقتصر –أحيانًا– على التنبيه على مواضع الحذف دون توجيه أو بيان السر البلاغي، وأحيانا يشير إلى أسرار الحذف وبلاغته. ومما أشار إليه حذف التقابل، والحذف في نظم القصص القرآني. ومما نبّه عليه في الإطناب: الاحتراس، والتكرار، وعطف الخاص على العام.
- كانت وقفات البسيلي وتنبيهاته على الوصل والفصل قليلة مقارنة بما سبق. وكان أغلب تنبيهه في آيات المتشابه اللفظي.
- لم يعن البسيلي –كثيرًا– بأسلوب القصر والتعريف والتنكير؛ حيث كان تناوله لتلك الأساليب وتنبيهه عليها قليل جدًا.

التوصيات:

يوصي الباحث بدراسة المتشابه اللفظي عند البسيلي وعقد مقارنة وموازنة بين تنبيهاته البلاغية وما يذكره غيره من علماء التفسير.

---

(١٩٥) انظر: المصدر السابق (٢/٣٠٠).

(١٩٦) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، (١/٣٦٣).

المصادر والمراجع:

الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٣هـ.

أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٨م.

أدب الكاتب، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)، محمد العمادي، تحقيق: محمد صبحي حلاق، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم، محمود السيد شيخون، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٣م.

الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، إبراهيم بن محمد بن عربشاه، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ؛ دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن، محمد الأمين الخضري، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين عبد الله البيضاوي، تقديم محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط١، ١٩٩٨م.

الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، الشركة العالمية للكتاب، ط٢، ١٩٨٩م.

البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي العمران، دار عطاءات العلم، الرياض، ط٥، ١٤٤٠هـ.

البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط١، ١٩٥٧م.

البرهان في متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبرهان، محمود الكرماني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٤٠هـ.

البلاغة العربية– أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٩٩٦م.

البلاغة– فنونها وأفنانها– علم المعاني، فضل عباس، دار الفرقان، عمان، ط٣، ١٩٩٢م.

بلاغة القرآن الكريم؛ دراسة في أسرار العدول في استعمال صيغ الأفعال، ظافر العمري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ.

البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، والشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م.

البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، تحقيق: علي الصالحي، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ط١، ٢٠١٨م.
التعبير القرآني، فاضل السامرائي، دار عمّار، عمّان، ط٤، ٢٠٠٦م.
تفسير البغوي معالم التنزيل، الحسين البغوي، حققه: محمد النمر وعثمان ضميرية وسليمان الحرش، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.
التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ٢٠١١م.
تفسير ابن عرفة، محمد بن عرفة، تحقيق جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ٢٠٠٨م
تفسير الفخر الرازي، الخطيب محمد الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨١م.
تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، عبد الرحمن السعدي، اعتنى به: عبد الرحمن اللويحق، مكتبة الرشد، الرياض، ط ٢، ٢٠٠٣م.
الجامع لأحكام القرآن المبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، محمد القرطبي، تحقيق: عبد الله التركي وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ.
خصائص التراكيب؛ دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٩٨٠م.
الخصائص، عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت.
الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، تحقيق: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ١٤٠٦هـ.
درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار بن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٤٠هـ.
دلالات التراكيب؛ دراسة بلاغية، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧م
دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم- دراسة تحليلية، منير المسيري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.
دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني. قرأه وعلق عليه: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة/دار المدني، جدة، ط ٣، ١٤١٣هـ.
روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
الروض الريان في أسئلة القرآن، شرف الدين الحسين بن ريان، تحقيق: عبد الحليم السلفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٩٩٤م.
الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحي العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠م.
العدول عن المثنى إلى المفرد أو الجمع وعكسه في القرآن الكريم: دراسة دلالية، هنية عريف، مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، كلية الآداب، جامعة ذمار، اليمن، ع١٢، ٢٠٢١م.

العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق: خالد السبت، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٢٦هـ.

علم المعاني: دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، بسيوني فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٣، ٢٠١١م.

فتح البيان في مقاصد القرآن، صديّق حسن القنوجي، عني بطبعه وقدم له وراجعه: عبد الله الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٢هـ.

فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، زكريا الأنصاري، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار بن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٤٠هـ.

الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفيّة، سليمان العجيلي الشهير بالجمل، ضبطه وصنعه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٥، ١٤٣٩هـ.

قانون التأويل، أبو بكر محمد بن العربي، تحقيق: محمد السليماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة ط١، ١٩٨٦م.

كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط١، ١٩٥٢م.

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

كشف المعاني في المتشابه من المثاني، بدر الدين بن جماعة، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٤٠هـ.

اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي بن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية؛ دراسة تحليلية لتراث علماء المتشابه اللفظي، صالح عبد الله الشثري، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٥هـ.

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضته مصر، القاهرة، ط٢.

محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، ضبطه وصححه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

المطوّل شرح تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، سعد الدين مسعود التفتازاني، تحقيق: عبد العزيز السالم، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ٢٠١٩م.

المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم، عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي القاهرة، ٢٠٠٩م.

المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، عواد المعتق، مكتبة الرشد، الرياض ط ٥، ٢٠١٧م.

معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

مفتاح العلوم، يوسف السكاكي، ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٤٠هـ.

من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر للطباعة والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥م.

من بلاغة النظم القرآني؛ دراسة بلاغية تحليلية لمسائل المعاني والبيان والبديع في آيات الذكر الحكيم، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين إبراهيم البقاعي، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م (٥/٤٢٤).

النظم القرآني في آيات الجهاد، ناصر الخنين، مكتبة التوبة، الرياض، ط١، ١٩٩٦م.

النكت في إعجاز القرآن (مطبوعا ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، علي الرماني، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر ط٣، ١٩٧٦م.

نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد. لأبي العباس أحمد البسيلي، تحقيق: محمد الطبراني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ط١، ١٤٢٩هـ.